المنهج الحديث
للبحث في العلوم الإنسانية

تاليف

الدكتور فاروق السامرائي

مدرس في برنامج ماجستير التربية في الإسلام

ورئيس قسم أصول الدين (سابقاً) - كلية الشريعة جامعة اليرموك

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م

رقم الايداع لدى المكتبة الوطنية
(٥٩٧ / ٥ / ١٩٩٦)

رقم التصنيف : ٢٤٢ر٠٠٦
المؤلف ومن هو في حكمه : فاروق السامرائي

عنوان المصنف : المنهج الحديث لبحث في العلوم الانسانية
الموضوع الرئيسي : ١ - المعارف العامة
٢ - طرق البحث العلمي
رقم الايداع : (٥٩٧ / ٥ / ١٩٩٦)
بيانات النشر : عمان / دار الفرقان

* - تم إعداد الفهرسة الاولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

الادارة والمكتبة : العبدلي-جوهرة القدس/هاتف ٦٤٥٩٣٧-٦٤٠٩٣٧-٦٢٨٣٦٢
صندوق بريد ٩٢١٥٢٦ عمان - الاردن

أ

تنضيد وإخراج
محمد غانم - مؤسسة مروة للطباعة
إربد - الأردن

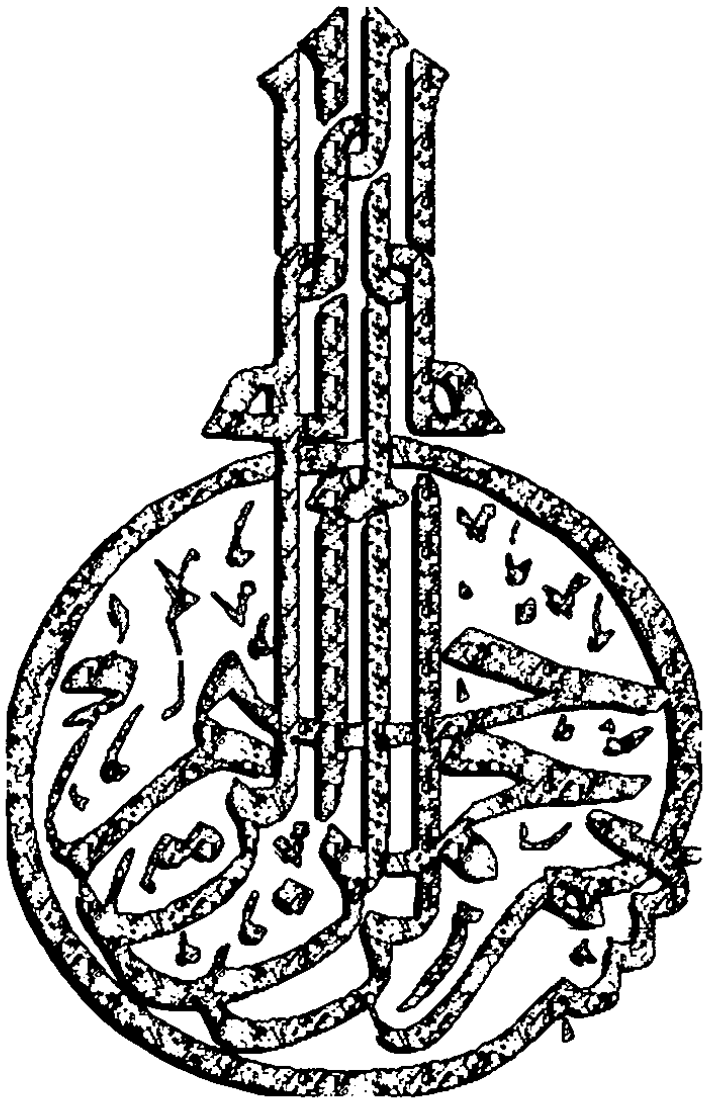

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على رسوله الأكرم محمّد صلى الله عليه وسلّم، وعلى آله وصحبه، ومن تبع هديه، وسار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد:

فقد تنوعت طرق البحث العلمي مع النقلة الحضاريّة التي شهدها القرن الحالي، فهناك أساليب وطرائق جديدة اعتمدها الباحثون في اعداد بحوثهم ورسائلهم العلمية. وساعد التقدّم التكنولوجي على اختزال كثير من خطوات البحث، ممّا وفّر الجهد والوقت، وسارع في تحقيق أحسن النتائج. فلا نستهين بميدان البحث العلمي، ونحن نرى حجم الإنعكاسات التي أحدثتها مناهجه المتنوعة في عصرنا الحاضر.

ويأتي هذا الكتاب، لتحقيق ما هدفت إليه، لأضع بين يدَي الباحث أبرز جوانب البحث العلمي في العلوم الإنسانيّة، بعيداً عن الإسهاب المُمِل، أو الاختصار المُخل . فالباحث يحتاج إلى منهج علمي، يُعينه في اعداد وانجاز دراسته بأقلّ جهد، وأقصر وقت.

ولأجل وضع تصور صحيح لموضوعات الكتاب، آثرت أن تكون مواردي فيه:

[١] مُجمَل الملحوظات التي أفادني بها أستاذي الجليل الاستاذ الدكتور أكرم

ضياء العموري خلال اشرافه على رسالتي الدكتوراه. [1]

[٢] مُحصّلة خبرتي العلمية خلال وجودي في برنامج الدراسات العليا «التربية في الإسلام» التابع لمركز الدراسات الإسلاميّة سابقاً، ولكليّة الشريعة والدراسات الإسلاميّة، في جامعة اليرموك «اربد/الأردن» حالياً، حيث أشرفت وناقشت مايقرب من أربعين رسالة علمية ضمن مجال التخصص، في الفترة الزمنية مابين (١٩٨٩م – ١٩٩٦م). وقمت خلالها بتدريس معظم مساقات البرنامج، وبشكل خاص «مناهج وأساليب البحث العلمي».

[٣] مجمل ملحوظات الأخوة الأساتذة التي كنت أستمع إليها خلال مشاركتي لهم في لجان مناقشة رسائل ماجستير «التربية في الإسلام».

[٤] مجمل المعلومات القيّمة التي دوّنتها عن زميلي وأخي المرحوم الدكتور وليد العاني (المتخصص في علوم الحديث النبوي الشريف) والتي استفدت منها كثيراً في موضوع تخريج الأحاديث النبوية (الفصل السادس).

[٥] إستفادتي من بعض القضايا المنهجيّة التي دوّنتها طلبتي خلال تدريسي لهم في مرحلة الماجستير، وإشرافي على رسائلهم، وأخصّ منهم بالذكر الأخوة: وائل التل، وأحمد الدغشي، والأخت منى داود. وكذلك بعض اسهامات السيد محمد رجب السامرائي في متابعة وإخراج هذا الكتاب.

[٦] مجموعة من المصادر والمراجع، التي استفدت منها في استكمال بعض موضوعات الكتاب، حيث أشرت إليها في حواشي البحث، ودوّنتها ضمن قائمة المصادر والمراجع.

---

(١) عنوانها: التعليم الإسلامي بين الأصالة والتجديد، وقد نُوقشت في عام ١٩٨٩م، في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وحصلت من خلالها على مرتبة الشرف الأولى.

وأخيراً، أسأل المولى جلّت قدرته، أن يُثيبني على ماأخلصت فيه من نيّة لوجهه الكريم، وأن يُقيل عثرتي في ماقلّمت من جهد بين يديه، وأن يرزقني صدق القول وحسن العمل، فهو حسبي ونعم الوكيل. وصلى الله وسلم على سيّدنا محمد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

د. فاروق السامرائي

جامعة اليرموك، إربد - الأردن

٢١/ذي الحجة/١٤١٦هـ الموافق ٩/٥/١٩٩٦م

الفصل الأول

أضواء على البحث العلمي

المبحث الأول: المفاهيم

المبحث الثاني: صفات الباحث

المبحث الثالث: سمات البحث

المبحث الرابع: أنواع البحث

المبحث الخامس: أهميّة الكومبيوترفي البحث

المبحث الأول

المفاهيم

١- مفهوم مناهج البحث

معنى النّهج أو المنهاج في اللغة هو: الطريق الواضح البيّن، قال تعالى: ﴿لكلّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً﴾ (المائدة: ٤٨). وقيل: هو الطريق المستقيم.(١)

ومعنى البحث: طلبك الشيء في التراب. وهو: أن يسأل عن شيء ويستخبرَ. وابتحث عن الشيء أي: فتّش عنه.(٢)

ويُقصد بمنهج البحث في الاصطلاح: طريقة وأسلوب البحث. وهي تُعبّر عن محاولة الباحث في الوصول إلى المعرفة، أو التنقيب عنها بأسلوب علمي يخضع للتقصي الدقيق، والنقد العميق، وعرضها بطريقة تحقق التكامل والشمول.

والبحث العلمي وسيلة للدراسات العلمية، التي يُمكن من خلالها الوصول لحلّ المشكلات المختلفة، عن طريق الإستقصاء الشامل الدقيق للظواهر والمتغيّرات

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، باب: نهج ٣٨٣/٢، الزبيدي: تاج العروس ٢٥١/٦.

(٢) الزبيدي: تاج العروس ١٩٣/٥.

ومنهج البحث العلمي هو: الطريقة المُثلى لاعداد البحوث والكتب العلميّة المتخصصة، وكذلك الرسائل الجامعيّة. ويدخل تحقيق مصادر التراث في دائرة مفهوم البحث العلمي، لما لهذا الإتّجاه من أهميّة في تيسير معطيات التراث، وجعله فاعلاً في مجالات التخصص، حيث إنّ معظم ما دوّنه العلماء القُدامى في مؤلفاتهم، يعدّ مصادر أساسيّة لموضوعات الدراسات المعاصرة.

أقسام البحث العلمي

الأول: البحث الميداني: وله أهدافه وطرقه وضوابطه. ويلزم فيه إعتماد قواعد وطرق خاصّة بالدراسات الميدانيّة، لتقرير نتائج البحث بواسطة إستبانات وعيّنات الدراسة، بحيث تنسجم وطبيعة الافتراضات التي يضعها الباحث لعلاج المشكلة .

الثاني: البحث النظري: ومجاله العلوم الإنسانية، وخاصّة التراثيّة منها. وفيه يلزم الباحث أن تكون طريقة إعداده منسجمة مع موضوعيّة التعامل مع مصادره، ولا مانع من اعتماد نتائج البحث في تأصيل وتعزيز مجال التخصص جمعاً بين الأصالة والمعاصرة.

مجالات البحث في الفكر التربوي الإسلامي

مع إتساع دائرة الفكر التربوي الإسلامي، يلزم تحديد المجال التخصصي الذي يريده الباحث. فقد تبدو للباحثين ثلاثة مجالات هي:

– **أصولية** : يركز الباحث فيها على أصول الفكر التربوي الإسلامي، لتأصيل الجوانب التربوية التي ارتبطت به، مثل الأهداف، والمناهج، والمؤسسات.

– **فلسفية** : تعني بدراسة النتاج الفكري لعلماء التربية الإسلامية، للوقوف على آرائهم، وسمات فكرهم التربوي، وفاعليّتهم في واقعهم الذي عاصروه، ثمّ تتبع مدى تأثير مدارسهم الفكريّة والفلسفيّة في الأجيال اللاحقة.

- **تاريخية** : يمكّنه من خلاله الربط بين البعد التربوي للحدث، وبين وجهته التاريخيّة، عن طريق الإستقراء الفاحص لحركة التاريخ وأحداثه.[1]

٢- مفهوم التصنيف

نجد أنّ كلمة «التصنيف» قد شاعت في القرنين الأولى من تاريخ الفكر الإسلامي، وتركزت جهود معظم العلماء على جمع الحديث الذي مثّل جلّ إهتماماتهم، ثمّ الأخبار والشعر والحكايات. وكان يقتصر عمل المصنّف على جمع الآثار تحت عناوين مختلفة، وتفريقها في فصول، ومن ثمّ توزيعها إلى أقسام، دون تحليل أو تعليق أو ربط أو تأليف. ولا يعني ذلك أنّ صنعة التأليف لم تكن موجودة، بل إنّها نمت وأخذت بالتوسّع مع زيادة الحاجة إليها، فبرزت مؤلفات في تخصصات متنوعة، أسهمت في إثراء الفكر الإسلامي، وزادت من مساحته.

ولم تعد في وقتنا الحاضر عملية التصنيف واردة في البحث العلمي إلاّ باعتبارها مرحلة منه. فمجرّد جمع النصوص وتصنيفها وتوزيعها في أبواب أو فصول لايُعدّ بحثاً علمياً، لافتقاره إلى الدراسة والتحليل. فبإستطاعة باحث ما أن يُعد رسالة علميّة في الأدب العربي مثلاً، من خلال البحث عن شاعر مغمور فُقِدَ ديوانه، وذلك بجمع أبياته الشعريّة المتناثرة من مصادر الأدب العربي، ثمّ ترتيبها وتبويبها، ومن ثمّ عمل دراسة وافية عن حياة الشاعر، وأخرى عن طبيعة موضوعات شعره، وتكتمل بذلك عناصر البحث من خلال الجمع والدراسة.[2]

---

(١) راجع: عبد البديع الخولي: الفكر التربوي في الأندلس، ص١٥ ؛ وسعيد اسماعيل وآخرون: دراسات في فلسفة التربية، ص ص١٠٧- ١١١ ؛ وعبد الرحمن النحلاوي: التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ص ١٨، ١٩.

(٢) أكرم العمري: مناهج البحث وتحقيق التراث، ص ص٤٤، ٤٦.

٣- مفهوم الكمّ والكَيف في البحث العلمي

الكمّ: مساحة البحث.

الكيف: طريقة صياغته، ودقّه معلوماته.

فمن خلال القدرة على الموازنة بين الكمّ والكيف تتحدّد مهارة الباحث، إذ لا عتبار للإسهاب أو الإطالة من غير ضرورة، أو للإختصار دون حاجة إليه، فطبيعة عناصر البحث تحدّد المساحة المطلوبة لصياغة مادّتها، لذا يلزم الباحث أن يكون له قدر كبير من الذوق العلمي، ليحول دون وقوع المحذور في إتساع رقعة البحث، وقلّة فوائده العلميّة.

إذن لابدّ من تصور حجم المشكلات البحثيّة التي تواجه فكرنا المعاصر، ومدى إتساع دائرة التأليف بواقع لايتناسب مع حجم الإضافات العلميّة. ومن هنا فإنّ على الباحث أن يجعل صياغة بحثه في إطار الذوق العلمي، فيجأ إلى إنتقاء أوجز العبارات وأعظمها دلالة لمراده، دون تكرار مخل، أو اسهاب مُمل.

٤- مفهوم الجديد والإبتكار

إنّ مفهوم (الجديد) في البحث العلمي ليس كما يفهمه بعض النّاس على أنّه «اختراع شيء جديد» فهذا أمر متعذّر في كثير من التخصّصات، بل يستحيل في بعضها. يقول سارتون : «ما الابتكار العلمي سوى نسج الخيوط لمختلفة، وربط بعضها ببعض، أمّا الابتكار من العدم فلا وجود له»[١]

---

(١) الشرق الادنى، مجتمعه وثقافته : مجموعة من الباحثين، ترجمة: عبد الرحمن أيّوب ٦:١٤٤.

وقد يكون الجديد والابتكار في أحد اتجاهين:

الأول: في ذات المنهجيّة التي يعرض موضوعات بحثه من خلالها، سواء مايتعلق بأسلوب كتابة البحث، أو ترتيب موضوعاته، أو طريقة عمل الهوامش والفهارس، أوطبيعة مداخل الموضوعات والفقرات، فإنّ الجرأة في تبنّيه وخاصّة للباحث المبتدىء لايُعدّ من الأمور المحمودة في البحث، إلاّ إذا عزّز الباحث توجّهه بحجج بالغة، تُرجّح الجديد المبتكر، من غير خلاف عند أهل التخصص في أفضليّته.

وليست العبرة بذات الجديد المبتكر، وإنّما بنوعه وماهيّته. فكثير من النّاس يعشق التغيير والتبديل، دون اعتبار دقيق لنوع الفائدة المتوخاه من احداث مثل هذا التغيير، فقد تكون حجم السلبيّات التي أفرزها يزيد بكثير على إيجابيّاته، وليس من العدالة العلميّة القبول بمثل هذا الوضع؛ لأنّ «درء المفاسد أولى من جلب المنافع» كما هو معلوم عند علماء الأصول.

الثاني: في نوع المادة التي أعدّها. وهنا يجد الباحث نفسه أمام تخصّصات قد يتّسع فيها المجال للزيادة والإضافة والإبتكار، في حين يتعذّر عليه في تخصصات أخرى الإضافة العلميّة لأساسيّاتها. فما الذي يُمكن أن يُضيفه الباحث لأساسيّات علم النحو أو الصرف، أو أصول الفقه،أو مصطلح الحديث النبوي؟ في حين اعتبرها بعض المتخصصين علوماً محترقة، فلايكاد يجد فيها الباحث متنفساً للابتكار.

ينبغي أن لاينحسر الجديد في البحث التراثي، ضمن مفهوم الإضافة إلى أصول ذات العلم والفنّ، فهناك جوانب متعددة تخدم الإتجاهات التراثية وتيسّرها، فتكسو القديم ثوب المعاصرة، أوتربط بين جذر قديم وغصن جديد.

فلو هدف الباحث إلى تحقيق الجدّة والإبتكار في بحث عن أحكام الزكاة. فسيقتصر عمله على جمع النّصوص الشرعيّة، وبيان دلالتها، والأحكام المُستنبطة منها. فماهو الجديد والمُبتكر في بحثه؟ خصوصاً وأنّ مثل هذه الدراسات قد أُشبعت من قبل علمائنا القدامى واللاحقين دراسة وتحليلا.

ولو نظر الباحث في ميدان الإقتصّاد الإسلامي، والمشكلات التي عصفت بعالمنا الإسلامي المعاصر، وطبيعة الصراع الطبقي بين الأغنياء والفقراء، بسبب التفاوت في توزيع الثروات، وما نتج عن ذلك من مظالم إجتماعيّة، وإضطرابات سياسيّة، وقلق نفسي، وحاول الباحث جاهداً أن يضع تصورات وحلول ضمن خطوات تكفل انفراجاً للمشكلة، مستنداً على مافي التراث الإسلامي من معطيات في جانب المال والإقتصاد، لأمكنه عندئذ تحقيق الجديّة والإبتكار، من خلال وضعه اللمسات العلميّة المعاصرة التي تُعطي القديم واقعاً جديداً وفاعلاً.[1]

«وقد لا تظهر الإضافة العلميّة محددة بكميّة من المعلومات النوعيّة التي توافرت نتيجة الثورة المعرفيّة "المعلوماتية" الحديثة، بل تظهر في القدرة على إعادة تنظيم المعطيات العلميّة في بنية جديدة تيسر الإفادة منها، وتعين على تطورها، ولن يتمّ ذلك دون قدرة على التصوّر والتخيّل المبدع، فالمطلوب أن تُفتّش عمّا في خزانة الصور وخزانة المعاني، وتعمل فيها بالتركيب والتفصيل»[2].

---

(١) عن محاضرات الدكتور أكرم العمري لطلبة الدراسات العليا في الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة.

(٢) أكرم العمري: مناهج البحث وتحقيق التراث، ص ٦٠، ٦١.

ويبدو أنّ صنعة التأليف في البحث العلمي في غالب الأحوال تنحصر في أمرين ، وقد أشار إليهما عالم قديم بقوله: «لاينبغي لمصنّف يتصدّى للتصنيف أن يعدل عن غرضين، إمّا أن يخترع معنى... وإمّا أن يبتدع وضعاً وميني ... وما سوى هذين الوجهين فهو تسويد الورق، والتحلّي بحلية السرف»[1]

٥- مفهوم الأصالة والمعاصرة.

تردد عبارتي: (الأصالة) و (المعاصرة) كثيراً في أحاديثنا. فهل نعني بالأصيل كل ماهو قديم، حسب الفهم التقليدي. أم أنّ الأصيل هو إمتداد الشيء إلى ماضيه، وإتصاله به؟ إنّ الماضي يُمثّل جذور الحاضر، وصورة الحاضر معيار لإرتباطه بماضيه. فالحضارات تُقاس بمجموع ماضيها وحاضرها، من خلال حُصيلة عطائها الحضاري.

إذن كيف نتعامل مع الماضي لتأصيل الحاضر، في ضوء تراكم المعرفة، وفقدان المعايير الواضحة التي يتحدد بوجودها أسلوب الانتقاء؟ ثمّ هل أنّ واقعنا المعاصر فيه من المقومات مايرقى إلى تقبل معطيات أصالتنا، والتعايش مع قيمها؟ إنّه لمن الخطأ أن ننظر إلى حجم التأصيل من خلال كثرة التعامل مع نصوص التراث، فلا تعني كثرتها أصالة البحث، لأنّ عوامل كثيرة تحكم منهجيّته، وتحدّد ملامح أصالته. لقد أخذت طروحات أصحاب الفكر طريقها في اتجاهين:

---

(١) المرجع السابق، ص٦١ (نقلاً عن: التعريف بآداب التأليف -مخطوط-).

الأول: نحو تأصيل الحاضر.

الثاني: نحو عصرنة الماضي.

فأين موقع الباحث منها؟ ومن أين يبدأ طريق العودة دون مخاطر فكرية؟

إنّ معالم منهجيّة البحث في مثل هذا الإطار تبدو صعبة، وطريقها محفوف بالمخاطر. فكلّما أطنب الباحثون في جذور الماضي، كلّما زاد سيف البحث حدّة، لتصبح مرحلة الإنتقاء من معطيات التراث أصعب مراحل البحث، فاستخدام النّصوص دون دراية شرعيّة أو لغويّة أو تاريخيّة، تُوقع صاحبها في خطأ جسيم، فتجعله كرامي رمية في ظلام، قد يُصيب صاحباً وحبيباً دون قصد !

لقد أُحيط الباحث بكمّ هائل من التوجّهات العلميّة، والتطورات المستجدّة في عالم التكنولوجيا والعلوم. وبات من العسير التعامل معها والإستفادة منها، ناهيك عن اللحاق بها ومجاراتها، ذلك أنّ الصراع الفكري والتكنولوجي والحضاري واللغوي قائم، والتسابق بين الأمم يستعر يوماً بعد يوم، والسيادة والغلبة لمن ملَكَ زِمام الإبداع، وأخضع الآخرين. فأين موقع الباحثين من عالم اليوم؟

لقد غزت الثرثرة أخلاقنا وطباعنا، فكثُر الكلام، وندُر العمل. أبهرتنا حضارة الغرب، وافتُتنّا بما يصدر عنهم من أقوال وأفعال وأبحاث. فأوجد فينا هذا الواقع تردّيًا حضارياً أبعدنا عن مناهل تراثنا المعطاء، بل وبارع بعض دُعاة التجديد إلى إيجاد القفزة الحضاريّة، متجاهلين أهميّة المنهج العلمي واستقلاليّة الذات في تحقيقها. وأحدثوا قطيعة موهومة بين حاضرهم وتراثهم، ظنّا منهم أنّ أزمة الأمّة الحضاريّة سببها علاقتها بتراثها، واعتزازها به، وانّ «الإنهزام الحضاري» الذي مُنيت به، نتيجة تمسّك بعض أبنائها بالدين والخلق!! .

ولأجل أن ينتقم بعضهم لواقعه المظلوم، اندفع بغضب شديد ليقطع كلّ حاله صلة بالدين، وبالقيم التي نشأت عنه، داعياً إلى علمنة الحياة. حتّى قال أحدهم متحدثاً: أنا شرقيّ مثل سائر مواطنيه، لكنّني ثرت على المشرق عندما أيقنت أنّ عاداته تعوق إرتقاءه. ودعا أن يأخذ الشرقيّون بعادات الغربيين كي يقوُوا مثلهم.(١)

إذن كيف يمكن لأصحاب «الفقه الحضاري»، والمنهج العلمي، قياس حجم المشكلة، في وسط تزاحم التناقضات الفكرية، وفي ظلّ غياب الضوابط المنهجيّة والعقديّة والشرعية.؟ وبأيّ وسيلة يُمكن مواجهة الآثار التربويّة المدمّرة، التي أحدثتها إفرازات الفكر الغربي، وممارساته الهابطة، في الأسرة والمجتمع، بعد أن اقتحمت برامج التلفزة الأمريكيّة والغربية بيوتنا وأسرنا، وأصبحت تُنقل إلينا بواسطة الأقمار الصناعيّة.؟ وبأيّ منهجيّة علميّة يُمكن للباحثين التربويين أن يوجّهوا أبناء الأمّة نحو تربية إسلاميّة هادفة، ليُخفّفوا من تأثير فاعلية وسائل الإعلام، التي باتت تُشكّل خطراً تربوياً لايعلم نتائجه إلاّ الله؟

لقد أدركت حكومة بريطانية في فترة من الفترات خطورة الاعلام الأمريكي على شعبها، فكانت تحتجّ على استخدام الأقمار الصناعيّة في البثّ التلفزيوني، علما أنّ إنكلترة تعتبر نفسها شعباً محافظاً بالنسبة للشعب الأمريكي، مع أنّها دولة صناعيّة وحضاريّة، وإنّ أصول الأمريكان أكثرها أنجليز. مايال العالم الإسلامي النامي، إذا سيطرت عليه برامج التلفزة الأمريكيّة ؟ خصوصا وأنّ الهيمنة الأمريكيّة إنفردت في قيادة العالم بعد التلاشي السريع للاتحاد السوفيتي.

---

(١) سفر الدوالي: العثمانيّة ص٩٩ه (نقلاً عن سلامة موسى. الأدب لشعب ص١٢١، مصر ١٩٦١م.).

ربما لا يجد الباحث أرضاً يتحرّك على ظهرها، في ظلال هيمنة الفكر الغربي، وسطوة مناهجه؟ فكيف يُمكنه تحقيق الوجود الحضاري لأمّته، ليُعيد لها القيادة الفكريّة للعالم بعد انقطاع طويل؟ إنّ نظرة عابرة إلى نتاج فكرنا المعاصر، تكشف عن واقع مؤلم هزيل لأمّتنا، يجمع بين إنهزاميّة الداخل، وتبعيّة الخارج.

كانت اليابان قد خرجت من حرب ساحقة مدمّرة، وبعد عقود يسيرة، ظهرت لتنافس الغرب، بل أنّها حقّقت قفزة تكنولوجيّة أعجزت العالم من أن يتحداها أو يُجاريها. فهل العقيدة البوذيّة أقوى من عقيدة الإسلام في دفع أتباعها نحو الرقي الحضاري. للأسف إنّ احساسنا بضعف الذات جعلنا نرتجف ونرتعد أمام تقدّم التكنولوجية الغربيّة. واعتقد بعضنا أنّ ماحدث في الغرب هو ضرب من خوارق الأشياء لايمكن أن يتكرّر. لقد بات هذا الصراع النفسي يحول دون الإبداع، أو حتّى محاولة التفكير به.[1]

لقد عزّز الإسلام فينا روح الإبداع، واستقلاليّة الذات، وكفاية المنهج. قال تعالى: ﴿**أولم يكفهم أنّا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم. إنّ في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون**﴾ (العنكبوت: ٥١). ورُوي أنّ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسخة من التوراة، فقال: يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغيّر، فقال أبو بكر-رضي الله عنه- : ثكلتك الثواكل، ماترى بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله فقال: أعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمّد نبيّاً، فقال رسول

(١) عن محاضرات الدكتور أكرم العمري لطلبة الدراسات العليا في الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة.

الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمّد بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتّبعني».[1]

وفي رواية أخرى أنّ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه، عندها غضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: «أمتهوكون[2] فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة، ولا تسألوهم عن شيء فيُخبرونكم بحقّ فتكذبونه، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أنّ موسى كان حياً ماوسعه إلاّ أن يتبعني».[3].

وعن إبراهيم التيمي «أنه بلغ ابن مسعود أن عند ناس كتاباً يعجبون به فلم يزل بهم حتى أتوه به فمحاه ثم قال: إنما هلك أهل الكتاب قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم وتركوا كتاب ربهم».[4]

ومما يُؤسف له أنّ الميل نحو المنهج الغربي بلغ ذروته، فلايُمكن أن يتصور بعض الباحثين أنّه بالإمكان كتابة بحث دون اعتماد طريقة الغربيين ومناهجهم. وهذا يدلّ على مدى التبعيّة الثقافية والفكريّة للغرب، لذا اعتبر المستشرق الإنجليزي «جب» هذه النتيجة مقياساً صادقاً للحكم على مدى التغريب، فيقول: «والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب هو أن نتبيّن إلى أيّ حدّ يجري التعليم على الأسلوب الغربي، وعلى المبادىء الغربيّة، وعلى التفكير الغربي».[5].

---

(١) الدارمي: السنن، باب ٤٢، حديث ٤٧٥.

(٢) قال الحسن البصري: أي متحيّرون. (انظر: الجوهري، مختار الصحاح، ص٢٩٢).

(٣) الإمام أحمد: المسند ٣/٣٨٧.

(٤) الدارمي: السنن، باب ٢٩ حديث ٤٤٩.

(٥) محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ٢١٦/١-٢١٧ (نقلاً عن WITHER ISLAM P. 329-334).

نحن لاندعو إلى ترك كلّ ماهو غربي أو أجنبي، فالثقافة ملك للجميع، لكن لانريد أن نفكر بعقليّة غربيّة ونحن نكتب أو نتحدّث بلغة القرآن الكريم. فلكلّ منظومة حضاريّة مصطلحاتها الخاصّة بها، وقيمها المستندة إلى ذات عقيدتها فأصالتنا الإسلاميّة لاتعجز عن بعث روح الإبداع في مسيرتنا الفكريّة والثقافية، لترقى الأمّة إلى تحقيق الشهود الحضاري ﴿وكذلك جعلناكم أمّةً وسطاً لتكونوا شُهداءَ على النّاسِ، ويكونَ الرسولُ عليكم شهيدا﴾.(البقرة: ١٤٣)

لابُدّ من تحديد الموقع، وبلورة الذاتيّة، لنُعزز مسيرة التغيير بخُطىً ثابتة، قاعدتها الثقة المطلقة بالله وبفاعليّة شرعه، كي لاتكون مخاوف الاحباط والهزيمة من معوّقاتها﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (ال عمران:١٣٩).

إنّنا بحاجة إلى تصوّر منضبط لقيم الأصالة وثوابتها، ثمّ لدواعي المتغيّرات، ضمن مرونة الفكر التربوي الإسلامي، لنحقق استقلالية القيم والذاتية، مع القدرة على التجديد والابداع، إيذاناً بتلمّس الخُطى ببصيرة إيمانية تعتبرُ من الماضي، وتتجاوز إلى الإبداع في الحاضر، في إطار فقه الثوابت والمتغيّرات في هذا الدين، فتكون الثوابت منابع إستقاء، وتكون المتغيّرات معينُ إبداع، ويكون صدق التوجّه إلى الباري سبحانه وتعالى، معين أنوار المسار.